جناح متمرد

بثينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

الإسلام السياسي.. ورقة توت الأخيرة!

هل تفلح التيارات الإسلامية في الإتيان بما عجز عنه الأولون؟ أم هو مخطط آخر للبقاء بشكل مرسوم أبعاده، معلومة نتائجه، يدفع ثمنها من هم على شاكلتي وشاكلتك قارئي الكريم

■ يحقّ لأيّ جماعة فكرية أو ثقافية التجمع وإنشاء حزب أو جمعية سياسية لتحقيق مصالحها.. لسنا ضد ذلك، والإخوان أو السلف شأنهما في ذلك شأن العديد من التوجهات الفكرية كالقومية أو الليبرالية أو العلمانية، بيد أن الإشكالية الكبرى التي تواجههم كتيار إسلاموي هو خلطهم للأوراق بين دين وسياسة، واللعب بالبيضة والحجر في محاولة منهم لكسب أكبر قدر ممكن من الأتباع والمؤيدين، خصوصاً وأن ورقة الدين فيها من التعاطف الودي والانصياع لأولي الأمر الشيء الكثير.

وعليه نقرأ في الآونة الأخيرة كثيراً مما قيل عن الإسلام السياسي، حينما بدأ الدين يلبس لباساً سياسياً أو العكس لتحقيق غايات ومآرب بعيدة كل البعد عن غايات الدين، ولو ظل الإخوان والسلف كسابق عهدهما أو مطلع بزوغهما في العمل في مجالات الدعوة والإرشاد لاستطاعوا كسب أكبر عدد ممكن من الجماهير المؤيدة في شتى أنحاء المعمورة، إلا أن دخولهم معترك السياسة بورقة الدين أضعف موقفهما أكثر مما أضاف، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما صاحبها من ترسيخ لفكرة الإرهاب الإسلامي لدى الغرب بعمليات التفجير والقتل والجماعي، بحجة أن أمريكا تشجع إسرائيل على ممارسات القتل والتعذيب في فلسطين، وهي حجة واهية إذا ما أدركنا أن الظلم الواقع على الفلسطينيين من قبل (الكيان الصهيوني) قائمٌ منذ أكثر من نصف قرن.. أين عنهم العمليات الإرهابية ذلك الحين؟

وبالعودة إلى تاريخ نشوء حركة الإخوان المسلمين في العالم العربي، وتحديداً في مصر الأبية، نلحظ أنه في العام 1938 بدأت الجماعة تكشف عن مطامعها السياسية في الحكم، حينما أصدرت مجلة (النذير) السياسية الدينية ونادت بأن فصل الدين عن السياسة ما هو إلا بدعة غربية. وعليه لابد أن يتخذ الإسلاميون لهم موقعاً من الإعراب في عملية صنع القرار، إذ بادر المرشد العام للإخوان حسن البنا بترشيح نفسه للانتخابات النيابية عام 1942، إلا أنه انسحب بناءاً على طلب من رئيس الوزراء آنذاك مصطفى النحاس، الذي رفض أن تتحول جماعة الإخوان من جمعية خيرية دينية إلى حزب سياسي، منادياً إياهم بضرورة عدم تخطيهم حدود الدعوة..

بيد أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل عمدوا إلى التسابق إلى كرسي السياسة بشتى الوسائل والطرق، مبدلين في ذلك جلدتهم وشعاراتهم بحسب الظروف المحيطة بهم تاريخياً وسياسياً وإقليمياً، وفي ذلك جنحوا إلى البراغماتية كأحد أساليب البقاء وتحقيق المصالح على حساب مبادئهم وشعاراتهم السابقة.

وبسؤال عصام العريان، أحد قياديّ الإخوان حول مواقفهم من بعض القضايا المعاصرة قال: " الاتفاق على التعددية السياسية والموقف من المرأة بها اجتهادات جديدة من جانب الإخوان تتماشى مع المستجدات التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن ".

"ويقول شاكر النابلسي في كتابه أسئلة الحمقى في السياسة والإسلام السياسي ص 158: " إن جماعة الإخوان تنازلت عن أهم أركان عقيدة الإسلام، ألا وهو ركن التسليم بحاكمية الله الذي نادى بها سيد قطب وأصول الجاهلية الديمقراطية في التشريع، والتي تعني التسليم بحق البشر في اختيار ما يرونه من تشريعات وعقائد وهو تنازل مرحلي، لا تلبث بعده حركة الإخوان إلى العودة إلى شعارات الأربعينيات والخمسينيات ومبادئها.. " .

وأيا كانت التنظيرات والشعارات المرحلية المرفوعة من قبل جماعة الإخوان أو السلف، فإن الشاهد على طبيعة التحولات المجتمعية والفكرية، يدرك مدى تأثر الشارع العام بالشعارات الدينية التي كثيراً ما تصاحبها دغدغة لمشاعر العامة ويكتنفها الغموض في ربطها بين العدل كأساس للقوة السياسية وتشويش عقول العامة بدهاليز الجنة والنار..

وإذا كنا نتحدث عن طبيعة التغير والتبدل في إطار المنظومة الفكرية والسياسية كأحد روافد التغيرات المحيطة بالمنطقة، فإنه من المناسب ذكره، إن ما يرنو إليه المواطن العربي في وقتنا الراهن حيث مستجدات العولمة وما رافقها من تكنولوجيا هائلة في الاتصالات وكذا المصروفات، أبعد بكثير مما يدور في فلك (المدنس والمقدس) في أجندة بعض التيارات الإسلاموية.. إذ هو - أي المواطن العربي - يهفو لحياة كريمة بعيدة عن ذل القروض والمديونية، شأنه في ذلك شأن المواطن الغربي وما تعيشه بلاده من ديمقراطية عادلة كفرنسا مثلاً.

ثم، لماذا مكتوب علينا كشعوب عربية أن نحيا حياة كادحة، شقية، يملؤها السؤال والدهشة من كل حدب وصوب، حيث التفاوت الطبقي الملحوظ في كثير من المجتمعات العربية والذي بات على إثره تتلاشى الطبقة الوسطى، مما ينذر بتأزم وضع، وفساد مستشر في الأنظمة السياسية العربية الحاكمة..

على أن لا يفسر قولي هذا أنه احتقان في النفس العربية فحسب، بل هو أكبر من ذلك، إنه يأس بات يعترينا جراء قصر نظر، وتشبّث بالكرسي حال دون الولوج والتأمّل في مصير أجيال الغد وما ينتظرها من بؤس وشقاء.. ليس تشاؤما، بل واقعاً ملموساً، مُعاشاً، بدأنا نتجرّع كأسه رُغماً عنا بصورة أو بأخرى - ومن لم يمت بالسيف، مات بغيره - ذلك الواقع الذي استطاعت معه وبه الجماعات الأصولية المتطرفة أن تستغله أيما استغلال، بمغازلة القلوب والعقول العربية بورقة الإسلام السياسية، والتي وجد فيها المواطن العربي خلاصاً ومشجباً يعلق عليه ما تبقى في نفسه من آمال وتطلعات بغد قد يأتي ولا يأتي..

ويبقى السؤال عالقاً، هل تفلح التيارات الإسلامية في الإتيان بما عجز عنه الأولون؟ أم هو مخطط آخر للبقاء بشكل مرسوم أبعاده، معلومة نتائجه، يدفع ثمنها من هم على شاكلتي وشاكلتك قارئي الكريم؟ ■

B7747@HOTMAIL.COM